Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 20 | Issue 1 Article 11

2021

Religious Texts in the Algerian Novelist Discourse: Their Manifestations and Their Implications

أوريدة عبود
جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر, oredaabood342@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arabic Language and Literature Commons, and the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

2021) أوريدة ,عبود) "Religious Texts in the Algerian Novelist Discourse: Their Manifestations and Their Implications," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 20 : Iss. 1 , Article 11.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

Religious Texts in the Algerian Novelist Discourse: Their Manifestations and Their Implications

Cover Page Footnote

جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2019. قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

This article is available in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات:
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 20 العدد 1، 2019، ص ص 327- 339

النصوص الدينية في الخطاب الروائي الجزائري: تجلياتها ودلالاتها

Religious Texts in the Algerian Novelist Discourse: Their Manifestations and Their Implications

أوريدة عبود*

تاريخ الاستلام 2018/9/23 تاريخ القبول 2019/3/20

ملخص

يهدف هذا المقال إلى إبراز مدى قدرة الخطاب الروائي الجزائري المعاصر على احتواء النص الديني بما يحمله من إمكانات معرفية وجمالية، بحيث أسهم هذا النص في صوغ ملامح المجابهة الحضارية والثقافية،هذه المجابهة التي كان الصراع على مر العصور أبرز معالمها، وللإفادة من حمولتها التاريخية، وإمكاناتها السردية، بصفتها مرجعيات ولدت في التاريخ، ثم تعالت على الزمان والمكان لتظل ممتدة وذات أثر لتشكل متفاعلا نصيا فكريا، يمارس حضوره في النصوص.

الكلمات المفتاحية: النص الديني، الواقع، الفكر، الرؤية، الخطاب الرواية.

Abstract

This article aims to highlight the extent to which the contemporary Algerian novelist discourse can contain the religious text with its cognitive and aesthetic potential. This text contributed to the development of the features of civilization and cultural confrontation. This confrontation, which was the most prominent feature of the struggle throughout the ages and to benefit from its historical load and potential Narratives, as references born in history, and then depend on time and space to remain extended and influential to form an interactive textual intellectual, practicing presence in the texts.

Keywords: religious text, reality, thought, vision, novelist discourse.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2019.

* قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

Published by Arab Journals Platform, 2021

مقدمة:

بحث الخطاب الروائي الجزائري عن طرائق جديدة متنوعة لمسايرة التغيرات التي يتعرض لها الواقع باستمرار. فهو بحث دائم وأفق مفتوح لهذه التنويعات، ما جعله متميزا ومستقلا في تنظيم تقنيات اللغة والأساليب والرؤى. إنه يؤسس لمرحلة الإنسان الجزائري الذي يحمل تناقضات فكرية واجتماعية وإيديولوجيه تغذيها الخلافات والخيبات والأزمات.

ارتبطت تكوينية الخطاب الروائي الجزائري ارتباطا وثيقا بحيثيات دينية، شكلت الخلفية الثقافية والإبداعية والمعرفية التي تكوّن ضمنها النص، فيطبع بها ويعرف من خلالها. وحضور هذا العنصر يسمح للنص بإنتاج طاقة لغوية ودلالية متنوعة، فقد حاورت الرواية الجزائرية المرجعيات الدينية لتسهم في صوغ ملامح المجابهة الحضارية والثقافية، هذه المجابهة التي كان الصراع على مر العصور أبرز معالمها، وللإفادة من حمولتها التاريخية، وإمكاناتها السردية، بصفتها مرجعيات ولدت في التاريخ، ثم تعالت على الزمان والمكان لتظل ممتدة وذات أثر لتشكل متفاعلا نصيا فكريا، يمارس حضوره في النصوص الأدبية...لهذا يطرح بحثنا جملة من الأسئلة الجوهرية:

لماذا يلجأ الروائي إلى استثمار النص الديني؟

كيف تشتغل النصوص الدينية في الخطاب الروائي الجزائري؟

ماهو الحضور الدلالي الذي تجسده هذه النصوص الدينية؟

1- في الرواية الحوارية:

إذا كان التحليل السوسيولوجي يرى الرواية ويدرسها في السياق التاريخي السوسيولوجي لإنتاجها، فإن التحليل اللغوي الدلالي يحاول دراسة مسار إنتاج الرواية ولحظات وضعه لها. تبدو الرواية كممارسة لغوية موجهة وذات دلالات، فهي ممارسة في الدال، أي اللّغة وإعادة صياغة خصوصية لها، يمكن أن تنجز وفق أنماط مختلفة من الكتابات، من كتابة واقعية إلى كتابة رومانسية وأخرى خيالية.

ظلت الرواية: "ردحا طويلا منصرفة عن الاهتمام باللّغة وجمالياتها وإمكانية استثمار قدراتها الخاصة، حيث تمّ التعامل مع الرواية، بوصفها رواية أحداث بالدرجة الأولى وتستمد قيمتها وأهميتها وجماليتها بالتالي من نوعية الأحداث التي تعرضها. وبعد التنبه إلى اللّغة وأهميتها القصوى في المعمار الروائي، برزت اللّغة الشعرية، بمقاييسها المتطورة"[(1)].

خلال عملية التسريد الروائي التي يقوم بها الكاتب، ترتبط كيفية القول بمضمونه فالشكل ليس وعاء للمضمون، والمضمون ليس ما يملأ الشكل، إذ إن ديالكتيك العملية كلها ناتج من أن

وضعية الروائي في ممارسة الكتابة الروائية تقوم بمواجهة لنصوص أخرى، ثم ينطلق لإنتاج نصوصه. ففي ممارسته يجد نفسه أمام نصوص سواه المكتوبة في النوع الأدبي ذاته أو في الكتابات المتنوعة ومختلفة البناء والتشكيل.

إن طريقة تلقي الكاتب لهذه النصوص: "ونمط هضمه لها هي التي تحدد عملية بنائه وتشكيله لنصه وكتابة الروائي، فهو جهده في صياغة تعبير عن الواقع العميق وفي حقيقته العميقة، لأجل تحقيق مرئية مظاهره وتموجاته عبر وجوه حية محكمة ومنظمة"[(2)]. تستجيب الرواية: "لرغبة إستراتيجية في تكثيف العمل السياسي في الخطاب الأدبي المعاصر، وهي رغبة بالغة النبل والسمو إنسانيا وجماليا"[(3)].

يؤسس باختين نظرية الرواية على نظرية اللغة الحوارية، التي يكون المبدأ الحواري قواما لها. فتطور الرواية يقوم أساسا: "على تعميق الحوارية وتوسيعها وإحكامها، وبذلك يتقلص عدد العناصر الحوارية المحايدة الصلبة التي لا تدرج في الحوار، فيتغلغل الحوار إلى أعماق الجزئيات وأخيرا إلى أعماق الذرات في الرواية"[(4)]. على هذا الأساس فإن المبدأ الحواري يخترق علاقات الرواية بأكملها إذ هو قائم في الأسلوب والبناء وحتى في المؤلف، حاضر من خلال الشخصيات التي شكلها وأخرجها حيث إن الكتابة هي: "حوار مع الذات وتواصل مع نص آخر"[(5)].

نظر باختين إلى الرواية كجنس في صيرورة، يسير في طليعة التطور الأدبي لأنها مليئة بإمكانيات التطور والتحول وإمكانية التجدد الذاتي أو النقد الذاتي الذي تمارسه، تتغذى بالتاريخ الكوني وتفتح الثقافات على بعضها واللغات على بعضها.تعطي الإنسان مراجع عديدة وتتعامل مع الحد الأعلى من الحاضر. وهي متوجهة إلى المستقبل، يتطابق في هذا التطور والتنوع مع الآني المفتوح، أو مع حاضر في سيرورة، على أن الحاضر لا يقبل الانغلاق، حاضر يعترف بالتنوع ويحتضن الأزمنة التي تتعامل معه فإن الرواية أثر لتفاعل لغوي شديد على المستويين الداخلي والخارجي، تدرس على أساسها تاريخ التبادل اللغوي بينها.

لما كانت الرواية جنسا أدبيا متميزا: "فإنّ ما يثير الاهتمام فيها هو انفتاحها وقدرتها على توظيف كل اللّغات والنصوص، مما يحقق لها مقومات بلاغية نوعية تمكنها من التغلغل إلى أعماق الكاتب والتشخيص مشاعره وانفعالاته، وبلورة فضاء حواري يمثل مواجهات الجماعة وتفاعلاتها عبر الأزمنة والأمكنة.

تحقق الرواية هذه اللغة المتعددة من خلال التجارب والمواقف والأسئلة التي تحاصر المبدع، فتكون بمثابة الرحم المولدة للكلمات الباحثة عبر التخييل والذاكرة وحضور الذات، عن مستقر مؤقت يفقس فيه لغته الأقرب إلى التعبير عن سديمه الداخلي. وعلى هذا الأساس تؤسس الرواية

Published by Arab Journals Platform, 2021

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 11

كلامها الخاص الذي يختلف عن سائر أنواع الكلام الأخرى، والذي يجعل منها شكلا من الممارسة التي يساهم بها الروائي في التفاعل العام"[6].

إنّ النص الروائي كما يراه باختين موزع على نصوص عديدة ومتباينة، بذلك يتقصى أثاره في أزمنة بعيدة وفي نصوص أكثر بعدا. وهو في تصوره هذا يظل مؤكدا على مقولة الحوار. فمادام التفاعل اللفظي هو قوام الرواية، فإن أشكال التفاعل المختلفة والموزعة على أزمنة مختلفة، هي التي تؤسس قوام الكلمة الروائية.

تشكلت الكلمة في الرواية عبر حوار الثقافات وأعادت تشكيل ذاتها في حوار اللغات المتعددة مع اللغة الوحيدة. وشخصيتها لا تقوم في ذاتها بقدر ما تتوزع على شخصيات وتتمدد فيها شخصيات أخرى، وخطابها يستعير مواده من علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والأساطير وصولا إلى الفيزياء الحديثة، لهذا تكون الرواية الجنس الأدبي الأكثر شبابا، وهي الجنس الوحيد الذي هو في صيرورة، وهي فريدة في تطورها بين أجناس أخرى تشكلت منذ زمن بعيد، وتظل تقاتل من أجل أن تكون متفوقة في الأدب، إضافة إلى ذلك فهي جنس في صيرورة مدهشة يسير في مقدمة الأدب كله عبر الأزمنة[7] لأنّها تأخذ كل ما هو جديد وتلتقط المبتدع الذي لم يتشكل وتنبئ بجديد لا يستطيع أي جنس أدبي غيره رؤيته، وتعلن أنها تخاطب المستقبل قبل أن تحاور الحاضر لذلك استحقت أن تكون: "النوع الوحيد الذي لا يزال في صيرورة"[8]

جاء هذا المقال ليقدم رواية ''مرايا متشظية'' كأنموذج جزائري تجلت فيه النصوص الدينية بوصفها بيانا إلهيا لا يضاهى بنصها الأفكار والحياة والأخلاق،و الواقع والغيب، فلم يكن النص الديني مجرد نص كوني روحي فكري بل هو أيضا ثقافة ورؤية فكرية شاملة

2- الاقتباس والتحوير:

نقرأ في رواية مرايا متشظية'' لعبد المالك مرتاض'' أشكالا عديدة من الأثر القرآني المذهبي والسني، مرة نجد ظاهرة الاقتباس وبخاصة من آيات مختلفة من القرآن الكريمآ بأثر قرآني في سياق تعبيري ذي ظلال قرآنية. قد ترد فيه كلمة أو جملة يوحي به مضمون التأدية التي تعكس ثقافته الدينية المرتبطة بمحيطه الاجتماعي والفكري.و سنقتصر القول أو التمثيل على نماذج محددة من خطابه الروائي بهذا النص الديني، اقتباسا أو تضمينا أو استلهاما أو مستمدا في بعض اللفظ الصريح معكوسا أو محورا.

وظف مرتاض أساليب قرآنية في (مرايا متشظية) ليبرز الفئات التي تستغل الدين بكل أشكاله لمرام سياسية وشخصية، وليبرز صراع الإيديولوجيات الذي يجسده شيوخ القبائل السبع. فقد

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11 4

قال أحد شيوخها: "اللهم أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل حتى تجعلهم كالعصف المأكول"[9].

يسمح لنا هذا الدعاء أن نقارن ما حدث في الجزائر من محن وانكسارات ورغبة في التحطيم والتدمير بقوم أرادوا تحطيم وهدم الكعبة الشريفة حين أراد ملك الحبشة "أبرهة الأشرم" أن يصرف النّاس عن الحج إلى بيت الله الحرام، ليتحولوا إلى كنيسته.فخرج ومعه الجيش والفيلة، وبلغ ذلك مسامع العرب، وأرادوا كفه عن ذلك ومحاربته فتبين لهم أن لا طاقة لهم به وبجنوده، فأوكلوا الأمر إلى الله تعالى.ولما اقترب أبرهة وجنوده من الكعبة، أرسل الله تعالى عليهم طيرا تحمل أحجارا، لا تصيب أحدا منهم إلا هلك. وقال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَل كَيْدَهُم فِي تَضْلِيلِ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْرًا أَبَابِيل(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِيلِ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول(5)**﴾**(من سورة الفيل، الآية1-5).**

للنص المقدس من المرونة التأويلية ما يسمح لمرتاض بأن يستعمله باتجاه ما يرمي إليه مؤكدا على جوهر الصراع في الواقع والرواية، حيث تسعى كل إيديولوجية إلى هدم ما عداها. إنه تجسيد للصراع السياسي في الواقع الجزائري، وتعبير عن وعي آخر بالتاريخ، وإدانة لاستغلال الدين في بث الترهيب والصراعات المتلاحقة: "فالقرآن لا زال يلعب دور المرجعية الأولى المطلقة في المجتمعات العربية الإسلامية، ولم تحل محله أية مرجعية أخرى حتى الآن، إنّه المرجعية المطلقة التي تحدد للناس ما هو الأصح وما هو الخطأ، ما هو الحق وما هو الشرعي"[10]. فالفعل السردي يعتمد الحضور الإيديولوجي من أجل استكمال بناء دلالة رسالته الأدبية والفكرية التي تأخذ شكل إيحاء إيديولوجي أدبي، يعطي شرعية التفسير والتأويل للنص عبر جدلية لغة الماضي ولغة الحاضر، تبرز صراع بعض الفئات المجتمعية مما منح تنوعا فنيا للغة، تحاول عبرها الدخول إلى العوالم الخفية للنص، واستكشاف حقائقه الفكرية.

تبرز الآيات القرآنية الواردة في هذه الرواية حضور ثقافته الدينية التي ارتبطت أشد الارتباط بمحيطه الفكري والاجتماعي حيث استفادت من اللغة الدينية في صوغ بنياتها التركيبية، ومما يلفت النظر تلك القدرة الفائقة في توظيف هذه البنيات مثل:

-"اللّهم ربنا باعد بين أسفارنا...

-اللّهم ربنا اسقنا غيثا غدقا. وجدا طبقا.

-اللّهم ربنا سلط عذابك وعقابك وغضبك على قبيلة بني خضران المارقة وقبيلة بني زرقان الفاسقة وقبيلة بني حمران الكافرة وقبيلة بني سودان الظالمة وبقية القبائل كلها... -اللّهم عذب هذه القبائل كلها عذابا شديدا.

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 11

-اللّهم سود وجوههم،وأخرس أصواتهم، حتى لا يكونوا في الأشياء شيئا...
-اللّهم حول السحائب الممطرة التي تمطر بها روابيهم الفاجرة إلى رابيتنا التقية الجافة الظمأى، حتى تروى فتهتز وتربو خصبا.
-اللّهم أهلك كل القبائل في الروابي السبع إلا رابيتنا فلا تبق منهم زرعا ولا ضرعا. ودمرهم تدميرا حتى لا تترك منهم أحدا"[(11)].

تقوم هذه التركيبات اللغوية على دعوة الله تعالى بأصوات جهيرة قائمة على ثنائية إقصائية إلغائية.بحيث يبدأ البناء اللغوي بالدعاء إلى الخير والتأكيد على الوجود،إلى لغة تقصي كل وجود للأخر في صيغة القنوت اللغوية. ويهدف مرتاض من وراء ذلك إلى التنبيه إلى أزمة الخطاب الديني الذي ارتبط ببنية لغوية تهدف إلى إلغاء الآخر وإقصائه من الوجود مستعملا في ذلك ثنائيات لغوية متقابلة متضادة كالنور والظلام، الحياة الموت وهذا ما يدفع إلى التمييز بين مستويات لغوية أخرى.

نجد لكل هذه البنيات اللغوية صورا مقابلة في الايجابية والسلبية، وحتى الأطعمة عمد إلى استعمال المرغوب فيها وغير المرغوب فيها كقوله:"اللّهم أنزل علينا مائدة من السماء فيها لحم وسمك. ودجاج وحجل وحمام وبط وتوت وعنب. وموز وتفاح. وزيتون وتين. وبرتقال ولوز. وجوز وفستق. وعسل مصفى. ولا تنزل علينا العدس والبصل. والثوم واللفت. والجزر والباذنجان. والفول والبطاطس. والباميا واللوبيا فإنّها أطعمة مثقلة للدماغ، مخبثة للبطن، مهرئة للمعدة.ممزقة للأمعاء.ملبدة للأذهان. يا رحمان يا منان"[(12)].

لقد سعى مرتاض إلى توظيف اللغة القرآنية مفردات وتراكيب وخصائص فنية وجمالية، وظهر اعتماد الكاتب جليا على إيقاع التراكيب القرآنية، فجاءت لغة السرد سلسلة ذات إيقاع موسيقي، خلقته الجمل المتوازنة.

3- الاستبدال/ مبدأ التناصية بين النص الديني والنص الروائي:

إنّ النص اللاحق يحاور النص السابق ويتأسس عليه، ويعيد كتابته من جديد، وتتبدى آلية اشتغال النص اللاحق على النص السابق، من خلال الاستبدال حيث يتم استبدال كلمات أخرى من خارج النص المرجعي ببعض الكلمات من النص السابق.

وهكذا، فإنّ النص اللاحق يتأسس على النص السابق، ومن ثمّ يفترق عنه، مؤكدا خصوصيته واستقلاله، الأمر الذي أدى إلى اعتبار أنّ بعض الكلمات والجمل مأخوذ، من النص السّابق، مع إضافة كلمات وجمل جديدة أفضت إلى دلالات جديدة.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11 6

إذا افترضنا من أن عملية التناص لابد أن تؤدي إلى إنتاج نص جديد، وأن التناص لابد أن تكون له غاية، نجد أن الكاتب قام بتحوير النص الديني عبر الاستبدال، ليجعله مناسبا للفكرة التي يريد التعبير عنها، وهي تصوير ما يحدث في الواقع، أي أن الكاتب وظف النص الديني للتعبير عن الواقع المعيشي، بعد أن أجرى عليه تغييرا، مس دلالته فقط.

وهذا ما يؤكده المقطع الأتي''....وأيقنوا أن زمن الطوفان الموعود أضلهم.أصيبوا بالهلع الشديد.أظلمت الدنيا في أعينهم...و لم يلبث أن حل الطوفان على كل الروابي ولم ينج منه من كانوا في كهف الظلمات.ولا في مملكة العدم. بل لقد امتد الطوفان الدم الموعود إلى كل الأقطار والكهوف في كل أنحاء الأرض فغمرها وأغرقها.فهلك الناس جميعا' ولم يبق منهم أحياء إلا من كان يتعبد الله في جبل قاف..."(الرواية ص241).

ثمة تداخل لغوي ودلالي بين هذا المقطع والنص الديني؛حيث حول مرتاض نصه إلى تناص ذكي يستوحي الدلالات الشكلية للنص الديني ويحورها تحويرا يحيد عن سياقها الأصلي. فكلمات وعبارات الطوفان.. أغرقها.. هلك الناس.. إلا من كان يتعبد الناس...هذه العبارات تتحاور مع الآية الكريمة"**و أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (36) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** (37)..(من سورة هود)..إن هذا التداخل يعبر بصدق عن تأثير الروائي بالموروث الديني واحتكاكه به.و البنيات النصية الواردة في الرواية لم تحتفظ بمرجعيتها الأصلية؛نظرا لاندماجها في العمل الروائي الذي يتميز بالخصوصية والتحرر من المألوف.

شكل النص الديني في هذا الخطاب حقلا دلاليا أضفت عليها مرجعية معرفية تعكس تاريخ الصراع السياسي في الجزائر في العشرية الأخيرة، حيث نقلت النصوص أزمات الجزائر من حلبة الواقع إلى المستوى الفني الأدبي، لترسم بذلك مواقف مما وقع في الجزائر،واقع انبنى على الإلغاء ونفي الآخر في مقابل التأكيد على الذات ولا شيء غير الذات، نصوص تدين الواقع الجزائري بمراجعه السياسية والدينية وما تمخض عنه من تدمير وتحطيم لكل البنيات الفاعلة فيه.

تجلى النص القرآني في هذه المقاطع بألفاظه وعباراته أو بما هو من جنسها: "ذلك أن القرآن ظل على الدهر النص المجسد للإعجاز، إنه الغاية التي لا تدرك. والقرآن أيضا هو النص الذي حول مجرى تاريخ الإنسانية بما حواه من قيم ومبادئ ومثل. ومن ثم فإن القرآن يمثل لحظة البدء والنور واندفاق المعجزة في الماضي"[(13)].

إن استحضار القرآن في نصوص مرتاض هو بؤرة الجدل وعصبه.فشيوع القرآن فيها -على الحقيقة وعلى المحاكاة- فهو دليل التجدر في الماضي ذلك أنّه لم يقف عند إيراد الشواهد القرآنية بل جاوزها إلى الكتابة على منوال القرآن إعجازا بإعجاز[(14)].

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 11

القرآن الكريم بإعجازه البياني يحرز على رتبة الدليل أو الشاهد الذي يلجأ إليه الأديب في الدراسات والأعمال الأدبية، إذ تبين للعرب بعد التدبر في معانيه وبلاغته أنّه يحتل من عالم الكلمة العربية قمة الإعجاز.فوجوه إعجازه تكمن في أنّه: "جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني"[15].

وقد "اعتمد القرآن في تعبيره على التصوير الحسي تقوية للمعاني، ولإدراك المعاني المعدومة، وغير المعهودة للناس مما لا يقع في دائرة العقل البشري"[16]. فقد أثرت لغة القرآن الأدب العربي، الأمر الذي جعل اللغة تكتسب طابعا إسلاميا حضاريا على حد تعبير محمد الباقوري: "لغة الآمة صورة سابقة لذوقها العام، تكون سهلة لينة أو خشنة جافة بمقدار ما لها من شعور رقيق وحس مرهف، ولا ريب أن للتحضر أثرا قويا في إرهاف الحس وترقيق الشعور"[17].

ارتقت الرواية إلى مستوى من الأدبية، اندمجت مع التراث الديني البليغ فالكتابة قبل كل شيء هي تجربة لغوية خاضها الروائي بكل عنف وعمق وعشق، بكل ألم وشجن ومحن. لقد عرف خبايا اللغة تلهمه كل ما يريده منها، يشعر القارئ، بمتعها وبتدفقها وحواريتها وهو يتعامل مع نصوص راقية في استخدام التراكيب وفي رسم صور جمالية، حملت في طياتها تدفقات التجربة الجزائرية من ألام وسلام. صور تمتع القارئ وتمنح له تنوعا في اللّغة والأساليب والصور.

انفتح هذا الخطاب الروائي على دلالات متعددة تم التعبير عنها بإشارات لغوية إشارات يستنبط منها ذلك التاريخ الإسلامي الذي أخرج فيه الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية والصراط المستقيم ومن جهة أخرى يستنبط ذلك الزمن الأسود الذي أعيد الإنسان إلى ظلماته ودنائته وانحطاطه. هذا ما جعل النص يحمل أبعادا إيديولوجية وأدبية تمثل الرسالة الأدبية والفكرية المراد إبلاغها إلى القارئ.

إن اشتغال النصوص الدينية في النص يعطي حضورا دلاليا للنظام الفكري الإيديولوجي عبر لغة وأسلوب متعددين. فهذا النظام الفكري يمثل جملة القيم والممارسات الاجتماعية السلبية التي يمارسها شيوخ القبائل السبع قولا وفعلا ضمن علاقاتهم الاجتماعية حينما أصروا على التناحر من أجل الاستيلاء على قصر عالية بنت منصور بالتنافس والإغراء والاستمالة ثم بإعلان الحرب وسفك الدماء يقول مرتاض:

"أوقدوا النار، ولا تبقوا على الأشرار وأحرقوا ما وجدتم في طريقكم يستقم لكم أمر الدنيا والآخرة إنشاء الله.ويستقم لكم أمر الروابي السبع إن شاء الله، فتحكموها وتحكموا قبضتكم الحديدية إن شاء الله، وإن لم يشأ...

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11 8

و يكون قصر عالية بنت منصور هو عاصمة الروابي السبع فلا يرفع أحد رأسه.وحتى يفقد كل أحد الثقة في نفسه. وفي غيره فيخاف منكم. ولا يعصي لكم أمرا من أموركم.وحتى لا يأمن زوج حليلته. ولا والد ولده. ولا صديق صديقه. تقتلون إن شاء الله بالظنة. وتغتالون إن شاء الله بالشبهة. وتعاقبون إن شاء الله لمجرد بداء النية. وإنما الأعمال بالنيات. وإن لكل امرئ ما نوى.فمن نوى أن يغتال اغتيل.ومن نوى أن يحرق أحرق. ومن نوى أن يتآمر تؤمر عليه.ومن نوى أن يزني زني بامرأته أو ابنته وربيبته أو ابنة ربيبته أو أخته أو ابنة أخته أو خالته أو ابنة خالته أو عمته أو ابنه عمته أو حفيدته أو ابنة حفيدته... ومن لم ينو شيئا اغتيل هو أيضا.لأنه لا يمكن أن ينوي، فهو كالناوي... فالحكم عليه نافذ في الحالين الاثنتين.فمن نوى فقد نوى. ومن لم ينو فذلك حكمه كالناوي كما سبق الكلام.و الظلام الذي يسميكم الظلام، يا بني من لا يدري أحد من أنتم"[18].

تمظهر النظام الفكري الإيديولوجي في الخطاب الروائي وفق شكلين يكمل أحدهما الآخر، الأول على لسان الشيخ الرابية ذي اللحية البيضاء، والثاني على لسان شيوخ القبائل الشيخ حين اخترق هذا المنظور الفكري نص الخطاب عبر المستويات التركيبية شاهرا أولوية المصالح الشخصية على العامة، يعبرون بوجه أخر لفهم الدين وتأويله.

إن ما زاد من مركزية حضور النص الديني في الرواية بعض الفئات الانتهازية التي تمارس فعلها بطريقة أو بأخرى، كاشفة لكل مظاهر النفاق الأخلاقي والسياسي والديني، ما جعل قيم المجتمع تضطرب وتتعقد لغياب الصدق مع الذات ومع الآخر وحتى مع الواقع.

لقد تجلى النص الديني في النص عبر مواقف ورؤى مختلفة، أفرزه الوعي الاجتماعي الذي يمثل الخطاب الرئيس للرواية، على أن تقدم لغة القرآن مفاتيح لإدراك عمق النص، لأنّ النص القرآني يعلو على كل النصوص البشرية مهما يرتقي فكرها وتجريبها.إنّه الذي يملك الحقيقة الظاهرة والخفية، وهو القادر على أن يقدم التعبيرات النموذجية للحالات المحدودة للوضع البشري. فوظف كل إمكانات التعبير الفصيح، وتجاوز كل نماذج الكتابات الإبداعية، ولهذا فإن الآخذ بمبدأ التناصية بين الخطاب القرآني ومجمل الخطابات التي عاصرته، "يفيد كثيرا في معرفة الحقول النسقية والمعرفية التي كانت تشرف على منظومة القول والإبداع، فحين نقرأ النص التراثي، لابد أن نتعامل معه باعتباره محور العدد من التقاطعات الخطابية التي كانت تتعايش فيما بينها في ظل هيمنة خطاب يحتويها ويسيطر عليها"[19].

لم يقدم القرآن الكريم رؤية، أو قراءة جديدة للعالم فحسب، إنما شكل تأسيسا لكتابة جديدة.إنه إبداع للعالم بالوحي، وتأسيس له بالكتابة. فتح النص الديني أفاقا واسعة أمام شعرية للخطاب الروائي. لم يكن مجرد نص كوني روحي فكري بل هو أيضا: "ثقافة ورؤية فكرية شاملة،

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 20 [2021], Iss. 1, Art. 11

فإنّ كانت لغة القرآن، نبوية أو إلهية من جهة كونها وحيا، فإنها تنقل ما هو إنساني، ثقافي إنها التعالي المحايث"[20].

يعدّ النص الديني أنموذجا في الصياغة الأدبية والكلام العام، حاول مرتاض استلهامه بوصفه بيانا إلهيا لا يضاهى بنصه الأفكار، والأشياء والحياة والأخلاق، الواقع والغيب، وهذا ما شكل شبكة تتداخل خيوطها، وتحبك في علاقات متعددة، ومتنوعة مفتوحة كالفضاء [21].

إنّ ما عاشته الجزائر من أزمات أفرزت أوضاعا وسلوكيات يستحيل على الروائي أن ينفذ إليها ويصرح عنها بلغة أحادية، فكان لزاما عليه أن يفسر هذا الواقع الذي يرفض منطق المصالحة، ويتراجع فيه العقل وتنحسر عنه دائرة التسامح، وتضيق فيه فسحة الأمل وتستشري فيه الخيانات، ويلفه الرعب، ويحيا فيه الموت بلغة وأسلوب متعددين كي يحقق معه الاتصال، الذي يحدث الأثر الفاعل. إنها لغة الرؤيا التي تصل، الماضي بالحاضر والمستقبل.

يجول الروائي وهو ينقب عن العدل المفقود والمثل الغائبة في واقع مظلم سقط في الخراب والموت والعنف والقطيعة، فبني روايته من مادة النص الديني وعندما تستحضر هذه المرجعية الدينية في الإبداع الفني، فإنّها تسلط الضوء على الوعي، وتدفع إلى الإبداع، في الوقت الذي تظل فيه مختلفة بتكوينها المستقل لأنّ وراء النص معنى كبيرا، ولكن هذا المعنى وذاك الواقع لا يقدمان إلى القارئ في شكل حكاية، بل في تشكيلات لغوية ذهنية معقدة، وكثيرا ما تكون بالغة التعقيد، ولا يعد هذا مظهرا سلبيا لهذا القص، بل هو بالأحرى مصدر ثراء للنص الذي يحرص على تثبيت نسبية العلاقة بين الذات والموضوع، وهي التي تعكس في نسبية العلاقة بين القارئ والنص، وهذا ما يقدم الكثير من الاحتمالات، والكثير من القراءات.

خاتمة

عندما يتطرق الكاتب إلى الحقيقة الكلية من الناحية النظرية يشير إلى إلزامية تمثيلها في صورة لغوية معينة، فقد ولج مرتاض إلى عالم النص الديني مستغلا بذلك المعجم بطريقة تكشف بنية المؤلف الثقافية كما تكشف المجاورة الوثيقة بين الوعي اللغوي وأشكال نقله إلى النص.

لقد اطمأن عبد المالك مرتاض إلى شكل كتابي يلبي الوعي الجمالي باللغة العربية المتدفقة، ووجد ما يرضيه، ففي روايته إحالات دينية مختلفة تشهد على إدراكه لمدى أهمية

النص الديني في التجربة الروائية معبرة بذلك عن الهمّ الجزائري.

تجلى النص الديني عبر مواقف ورؤى مختلفة، أفرزه الوعي الاجتماعي الذي يمثل الخطاب الرئيس للرواية. على أن الرفض والتنديد يمثلان خطابها المباشر وغير المباشر، فقد شكل

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol20/iss1/11 10

الصراع مبدأ الحضور الديني في النص وتمظهر في رمزية ماضية وحاضره جسد مواقف مضاءة للأخر.

لهذا يمكن القول بأن هذه الرواية تتسم بعدة انتماءات؛ انتماء للواقع؛ وانتماء للدين؛ وانتماء للغة.هذا الثلاثي جعلها منفتحة على الزمان وعلى الإبداع؛هذا الانفتاح مصدر فنيتها وإبداعيتها؛تحقق ذلك من خلال معالجتها الحدث في الواقع ومن خلال تنوع هذه اللغة التي فرضت تعالق مجموعة من العوامل السوسيو تاريخية والسوسيو ثقافية تجعل إنتاجية الدلالة للنص ممكنة ومحتملة.

الهوامش

1- صالح صلاح، **سرديات الرواية العربية المعاصرة**، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة 2003، ص292.

2- بيير ماشري، **من أجل نظرية الإنتاج الأدبي**، دار ما يروبا ريس 1980، ص225، نقلا عن: عمار بلحسن، **الأدب والايديولوجيا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص177.

3- صلاح فضل، **أساليب السرد في الرواية العربية**، دار سعاد الصباح، ط2،القاهرة 1992، ص77.

4- م.باختين، الكلمة في الرواية، ص61.

5- Julia Kristeva, **Recherche pour une sémanalyse,** p149.

6- إدريس الخضراوي، **النقد الروائي وإشكالية اللغة الروائية**، مص277-278.

7- Voir:M.Bakhtine**, Esthétique et théorie du roman,** p.142- 149.

8- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1999، ص10.

9- عبد المالك مرتاض، **رواية مرايا متشظية**، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر 2000 ص 120.

10- محمد أركون، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، تر. وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، المغرب 1999، ص23.

11- مرايا متشظية، ص119.

12- مرايا منشطية، ص119

13- محمد القاضي، **في حوارية الرواية**، دار سحر للنشر،ط1،تونس 2005، ص28.

14- ينظر:المرجع نفسه، ص29.

15- محمد زغلول،**أثر القرآن في تطور النقد العربي**،دار المعارف بمصر،ط3،القاهرة 1968، ص257.

16- المرجع نفسه،ص252.

17- الباقوري أحمد حسن،**أثرا لقرآن الكريم في اللغة العربية**، دار المعارف بمصر، القاهرة،ص55.

18- مرايا متشظية،ص85-86.

19-خالدي السبكي، **التراث والخطاب**، نقلا عن: منقور عبد الجليل، **آليات تحليل الخطاب (قراءة في تنظيرات الأصوليين)** مقالة في مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، ع2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر 2009، ص18.

20- علي أحمد سعيد أدونيس، **الشعرية العربية**، دار العودة، بيروت 1981، ص36.

21- ينظر:أمبرطو إيكو، **التأويل والتأويل المفرط**، تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، الدار البيضاء ص82.

المصادر والمراجع:

أدونيس، علي محمد سعيد، **الشعرية العربية**، دار العودة، بيروت 1981.

أركون، محمد، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، ط1، المغرب 1999.

إيكو، أمبراطو، التأويل **والتأويل المفرط**، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، الدار البيضاء، المغرب.

باختين، ميخائيل، **الكلمة في الرواية**، ترجمة يوسف الحلاق، منشورات وزارة الثقافة ، ط1، دمشق 1988.

الباقوري، أحمد حسن، **أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية**، دار المعارف بمصر القاهرة، د.ت.

بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999.

بلحسن، عمار، **الأدب والإيديولوجيا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

الخضراوي، إدريس، النقد الروائي وإشكالية اللغة الروائية، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع18-كلية الآداب، جامعة البحرين، المنامة، 2010.

زغلول، محمد، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، دار المعارف بمصر، ط3، القاهرة 1968.

صالح، صلاح، **سرديات الرواية العربية المعاصرة**، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة 2003م.

فضل، صلاح، **أساليب السرد في الرواية العربية**، دار سعاد الصباح، ط2، القاهرة 1992.

القاضي، محمد، **في حوارية الرواية**، دار سحر للنشر، تونس 2005.

مرتاض عبد المالك، **رواية مرايا متشظية**، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر 2000.

منقور، عبد الجليل، آليات تحليل الخطاب قراءة في تنظيرات الأصوليين، **مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية**، ع2، سيدي بلعباس الجزائر 2009.

Bakhtine, Mikhaïl, *Esthétique et théorie du roman Gallimard*, Paris, 1978.

Kristiva, Julia, *Recherche pour une sémanalyse*, Edition du seuil, Paris, 1978.